

تاريخ القبول: 2019/06/15

تاريخ الإرسال: 2019/04/24

فلسفة التعايش ودورها في التنوع الثقافي

The philosophy of coexistence and its role in cultural diversity

بلعز كريمة

جامعة الدكتور مولاي طاهر سعيدة الجزائر

karimabelazze@yahoo.fr

مَلِكُ الْجَمْعِ

إن التعايش مبدأ أساسي للحفاظ على التنوع الثقافي، هذا الأخير لا يتأتى إلا بتوفير شروط أساسية تجعل من هذا المبدأ فعال وناجح، ويفسح مجال الحوار وثقافة الفهم، وتقبل الآخر في ظل تجاذب لا تتافر وفي اختلاف لا خلاف على حد تعبير "الجابري". لهذا وجب ان يكون التعايش بين الافراد داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات بعضها البعض، وحتى الامم فيما بينها باختلاف مللها ونحلها. ومادام الاختلاف سنة كونية عامة فهو بالتالي سمة تتعايش معها كل المجتمعات والدول. وكل مجتمع له عاداته وتقاليده وقيمه ودينه الخاص به بما يجعل التعايش بالتالي ليس مجرد حق فقط بل واجب لضمان تنوع فكري وثقافي وتفاعل ايجابي بين الناس اضافة الى هذا ان فلسفة التعايش تسمح بتنزيل ثقافة العيش المشترك المبني على احترام الهويات حتى ان التنوع الثقافي قد يصبح خطرا على المجتمع اذا لم يحبك بنسيج التعايش والتسامح.

الكلمات المفتاحية: التعايش، الثقافة، الحوار الحضاري، التنوع الثقافي

Abstract :

Coexistence is a fundamental principle for the preservation of cultural diversity. The latter can only be achieved through the provision of basic conditions that make this principle effective and successful. It opens up the field of dialogue and the culture of understanding, and accepts the other in an atmosphere of

mutual harmony and disagreement. The coexistence between individuals within one society and between communities, and even the nations among themselves, according to their differences and their problems. Because the philosophy of coexistence allows the reduction of the culture of coexistence based on respect for identities, so that cultural diversity may become a threat to society if you do not love the fabric of coexistence and tolerance.

Keywords: coexistence, culture, cultural dialogue, cultural diversity



مقدمة

يعد التعايش عنصرا هاما ومؤسسا في اطار المشترك ، ويساهم في تطوير منظومات الفكر والمجتمعات من اجل التنمية و التحديث لهذا، فان التعايش و الوسطية من اهم العناصر التي تشكل تماسك الامة، باعتبار ان هذه الاخيرة (الامة)لها خصائصها التي تستمد منها مقوماتها المادية والروحية التي تميزها عن غيرها. لهذا فمن الطبيعي ان تكون الامم مختلفة مادامت الثقافات هي الاخرى مختلفة ومتنوعة. حتى مستويات الحضارة تشهد هي الاخرى تنوعا باعتبار ان هناك تلاقح بين الثقافات وهذا التمازج يتمخض عنه ميلاد فكر جديد وايدولوجيات متنوعة. يضمن التنوع الثقافي حمايته بمراعاة تواصل ايجابي وحوار فعال بين المجتمعات. وفلسفة التعايش ليست وليدة فكر راهني فحسب بل لها جذورها العميقة في الحضارات الاولى لقد عرفت الحضارات القديمة أنواعا مختلفة من نماذج التعايش كالتسامح وهو مفهوم قائم على الاعتراف بالآخر المختلف من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية والقبول به والتعايش معه سلميا. ففي الحضارة البابلية ساد التعايش نتيجة الديمقراطية البدائية وكان تسامحا سياسيا ايجابيا داخليا فعلا بالرغم من انه كان مؤقتا، الا انه حقق صدى ايجابيا على المستوى الثقافي والفكري وأدى الى الاعتراف بالمرأة وإعطاء العبيد الكثير من حقوقهم. كما عرفت الحضارة الهندية (البوذية) تعايشا ايجابيا في المجال الاجتماعي خاصة اتجاه الآخر المختلف

المراة، وعرفت الحضارة الصينية هي الاخرى (الكونفوشيوسية) التسامح الايجابي الداخلي والخارجي العالمي من خلال ما جاء به كونفوشيوس من تعاليم تحترم بها مبادئ احترام العادات والتقاليد الموروثة، فهم محافظون إلى أبعد الحدود، فيقدسون العلم والأمانة، ويحترمون المعاملة اللينة من غير خضوع ولا استجداء لجبروت. يقوم المجتمع الكونفوشيوسي على أساس احترام الملكية الفردية مع ضرورة رسم برنامج إصلاحي يؤدي إلى تنمية روح المحبة بين الأغنياء والفقراء. النظام الطبقي لديهم نظام مفتوح، إذ بإمكان أي شخص أن ينتقل من طبقته إلى أية طبقة اجتماعية أخرى إذا كانت لديه إمكاناته تؤهله لذلك. ومن هنا تظهر مجالات الانفتاح على الآخر.

عرفت الحضارة اليونانية تعايشا نسبيا الى حد ما، ولكن داخل الاقليم اليوناني ولكن لمسنا نوعا من التلاقح الثقافي نتيجة التنقلات والرحلات التجارية التي عرفتها بلاد اليونان. ولكنه لم يكن تسامحا سياسيا لاستثنائها النساء والعبيد من حق المشاركة السياسية المعتقدات والعادات والفنون هذا من جهة ومن جهة اخرى و من جهة اخرى، فكل مجتمع يسعى جاهدا للحفاظ على ما يميزه وبعطيه خصوصيته التي تميزه عن غيره.

فرضيات البحث:

- إن مبدأ التعايش والتسامح والحوار كأسلوب حياة يبدو للمتأمل في النسيج الاجتماعي والديني والتنوع البشري ضرورة وحمية للبقاء وليس مجرد خيار هامشي أو فرضية وهمية تنظيرية.
- فلسفة التعايش اوضحت في المجتمعات الراهنة حتمية أساسية خاصة في ظل الاوضاع التي يشهدها العالم اليوم وهي الانفتاح الشاسع في كل المستويات.
- أن الحوار يمثل رؤية إستراتيجية للمجتمعات وأن قدرها أن تلعب أدوارًا متقدمة في ترسيخ التسامح الديني والتنوع الفكري من خلال تعزيز فلسفة التعايش والحوار الحضاري المشترك في عالم سادت فيه تيارات العنف والتطرف ولا شك أن مواجهة كل هذه التحديات ما كان لها أن تتجح لولا تلك الرؤية والإصرار على جعل التعايش والتسامح أولوية قصوى وخلق تنوع ثقافي يستفيد منه الجميع.

منهج الدراسة:

-ان هذه الدراسة في مجال فلسفة التعايش ودورها في تجسيد فكرة التنوع الثقافي تطلبت منا الاستناد الى المنهج التحليلي والتاريخي لفكرة التعايش عبر العصور وتحليل مبادئ العيش المشترك كما استأنسنا بالمنهج النقدي وهذا لخصوصي الخطاب الفلسفي الذي يستدعي النقد لمجمل افكار الفلاسفة والمفكرين الذين كانت لهم مساهمات فعّالة في مجال الكتابات الخاصة بفلسفة التعايش والتنوع الفكري.

الإشكالية:

كيف تساهم ثقافة التعايش والوسطية في المحافظة على التنوع الثقافي؟

ماهي المعايير التي يمكن الالتزام بها حتى يتم انتاج ثقافة متنوعة بناءة ؟

1- في معنى التعايش :

ان الجذر اللغوي للتعايش في اللغة لع هو «العيش " ، وهو " الحياة" على الالفة والمودة وعائشه ، وعاش معه. وشاع في الادبيات السياسية مصطلح التعايش وهو " معيشة الجماعات بعضها البعض" ويكون التعايش في حياة الامم بين نظم سياسية متنوعة مع احتفاظ كل طابع بطابعه الخاص أي عدم تدخل دولة في اخرى (1) ويقصد من هذا ان التعايش هو ممارسة الانسان انشطة الحياة بمختلف مجالاتها وظروفها وأحوالها، وفق مفاهيم وقيم ومعتقدات الانسان التي تحملها وتحكم سلوكه وتصرفاته وانشطة حياته، أي المقصود به العلاقة مع الآخر و الاعتراف به وبوجوده في ظل تجاذب" وتفاهم وثقة ودعم التعاون لتجسيد فكرة الثقافة المشتركة (2) ومن الطبيعي ان يكون التنوع الثقافي هو الذي يحدد تنوع المجتمعات ،ويحدد ايضا المستويات الحضارية من تقدم وتخلف فهو حقيقة سوسولوجية قائمة على الفكر الانساني المتفتح الذي يسعى نحو ضم الآخر . ولكن هذا لا يعني ان القبول بالتنوع والتعدد الثقافي باسم التعايش ان ينصهر كل مجتمع في آخر، بل يجب مراعاة الخصوصية والهوية التي تميز كل واحد عن آخر. حتى ان هناك من يعتبر ان الغاية من التنوع "التفاهم" التعارف"(3) أي ان يعرف كل طرف ، والمعرفة لا تكون بدون فهم . والطبيعة التأصيلية للتنوع الثقافي تعزز القيم الانسانية المشتركة المستمدة

من المبادئ الدينية والمستوحاة من الثقافات والحضارات المتعاقبة. لهذا فان التعايش والاعتدال والتسامح مبادئ تخلق حياكة نسيج اجتماعي متجانس وان كان ذا ثقافات متعددة فهذا النسيج يخلق تنوعا على مستوى العقلية حتى لا يكون هناك صراع او تناحر ، ولكن يجب ان يخدم التنوع الثقافي المواهب وابداعات الانسانية ويتعداها الى مجالات اخرى مثلما هو وارد في الفقرة الثالثة من اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي "إن التنوع الثقافي يوسع نطاق الخيارات المتاحة لكل فرد فهو احد مصادر التنمية لا بمعنى النمو الاقتصادي فحسب بل ايضا وسيلة لبلوغ حياة عاطفية واخلاقية وروحية مرضية وبهذا يؤدي التنوع الى خلق منظومة حياتية متكاملة" (4). ومن هنا كان التركيز على مبادى التعايش والاعتدال وحتى الوسطية كمبادئ محركة لعجلة التنوع الثقافي ، لأن الوسطية سمة الامة الاسلامية ، وبها تعرف بين الامم وهي حالة محمودة تدفع اهله بهدي الاسلام فيقيمون العدل بين الناس ، ويتقبلون الآخر وينشرون الخير ، ويحققون عمارة الارض وعبودية الله ويحافظون على حقوق الانسانية وثقافتها واصالتها، قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (5).

نفهم من هذا كله أن تشجيع التنوع الثقافي ضروري لأنه حق من الحقوق الاساسية للمجتمع ومكوناته المختلفة، مثلما هو وارد في الفقرة الرابعة من الاعلان المذكور آنفا "ان الدفاع عن التنوع الثقافي واجب أخلاقي لا يفصل عن كرامة الانسان فهو يفترض الالتزام باحترام حقوق الانسان والحريات الاساسية "باعتبار ان الثقافة تضم اطار عام جامع للتنوع لهذا فقد نلاحظ ثقافات مغلقة لا تتفاعل مع اطراف اخرى وثقافات متفتحة تأخذ وتعطي انها تتغدى من الثقافات وتعديها .

2- الانتعاش الثقافي :

ان الانتعاش يؤدي معنى "النشاط" و"النهوض" كأن نقول اعتدل الجو فانتعش الناس أي نشطوا " (6) وبرتبط هذا المفهوم بما هو فكري وحضاري وثقافي للإنسان منذ البدايات الثقافية الإنسانية، فكانت المعرفة تفوح بالعممة والنبوءات تتلى ولم يكن هناك فصل بين العلم والمعرفة. وكانت بدايات التاريخ الثقافي للإنسان وتطوره يمس جوانب

مهمة من حياة الإنسان منذ وجوده، ويعالج العديد من الظواهر الاجتماعية عبر تاريخ البشرية، كما أن الإرث الثقافي الذي انتقل إلينا من الشعوب بواسطة أساليب متعدّدة كالحوار والتعايش أدى إلى انتعاش ثقافي وفكري متنوع ومزيج بين الرؤى والابديولوجيات حتى أصبحت الثقافة بالتالي ثقافات متعددة ويعتبر كل هذا تراث مشترك لجميع الشعوب والأمم. في التاريخ الثقافي للإنسان كانت هناك نقاط تحول أثرت في تبدل شكل الحياة وأساليب العيش فيها، وأثرت بأفكار وعادات وأعراف جديدة. لأن الثقافة بمجموعها تشكل وحدة متكاملة تتناول التراث المادي والفكري للشعوب المختلفة، في المراحل التاريخية المختلفة من تاريخ الإنسان. فهي ترسم خط تاريخ المجتمعات الفكرية منذ البدايات الأولى لتشكيل المجتمعات إلى أن وصل إلى المجتمعات الحديثة.. وتلقي الضوء على جوانب عديدة يعيشها الإنسان في حياته اليومية. وتتصف بعض الشعوب على بعض، عن طريق إبراز فنونها وآدابها وقيمتها الاجتماعية وغيرها من مساهمات في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

في معنى الثقافة:

ان اصل الثقافة في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي "ثقّف" ويطلق في اللغة علي معان عدة ،فهي تعني الحدق ، والفطنة والذكاء، وسرعة الفهم والتعلم وتقويم الاعوجاج والتأديب والتهديب والمعارف والفنون. قال بن "فارس" ثقّفت القناة اذا اقامت اعوجاجها"(7)

أما اصطلاحاً فهي «الرقى في الافكار النظرية ،وتشمل الرقى في الفنون والسياسة والاحاطة بقضايا التاريخ والرقى في الاخلاق والسلوك(8). وهي على حد تعبير المفكر "علي حرب" ثمرة الحدس والتخيل والابتكار كما هي ثمرة الجهد والمراس والحساب انها صناعة وتحويل ،وادة معرفية فعّالة تنتج فهما جديدا، وهي بهذا فرعا من فروع المعرفة"(9) والمقصود بهذا ان الثقافة متنوعة مادام كل شعب له ثقافته ويملك من الاخرى نصيبا الذي يؤدي بدوره الى بزوغ اشعاع ثقافي جديد .

فهي بهذا جميع ما يكتسبه الإنسان من صنوف المعرفة النظرية والخبرة العملية طوال عمره، وتحدّد بالتالي طريقة تفكيره ومواقفه من الحياة والمجتمع والدين والقيم،

بغض النظر عن الجهة التي حصل منها على تلك المعرفة أو الخبرة، سواءً كانت من البيئة أو المحيط أو القراءة والاطّلاع أو من التّعليم المدرسيّ والأكاديميّ أو من أيّ طريقٍ آخر. الثّقافة في حياة الأمم في حياة كلّ أمة على مرّ الأزمان والعصور مجموعة من المفاهيم والقيم والمبادئ الرّاسخة في شتّى مناحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وهو ما يُعرف بثقافة هذه الأمة ويميّزها عن غيرها من الأمم؛ فتعمد إلى توثيق هذه الثّقافة عن طريق تأليف الكتب والرّسومات والمخطوطات، وفي العصر الحديث تعمد إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة واستخدام التكنولوجيا ومواقع التّواصل الاجتماعيّة لنشر ثقافة أمة ما؛ فوجد أنّ هناك الثّقافة العربيّة وما تتميز به من التزام وانضباطٍ ومحافظةٍ على القيم والعداات والتّقاليد، كما أنّ هناك الثّقافة الغربيّة وما تميّز به من التزام وانضباطٍ على الصّعيد العمليّ مقابل الانحلال والانفلات على الصّعيد الاجتماعيّ والأخلاقيّ.

3-مكوّنات الثّقافة: تتكوّن الثّقافة وتتبلور من خلال عدّة مكوّنات أبرزها: الأفكار، هي مجموعة النتائج التي يتوصّل لها العقل بعد التّفكير والتّمحيص الطّويل للمعلومات التي تلقّاها. العادات والتّقاليد: وهي الأسلوب المُتبع لدى أيّ أمةٍ أو شعبٍ في الحياة الاجتماعيّة وقوانينها. وتعد اللغة العامل الاساسي الذي يبيّن ويظهر واقع الأمة، وتراثها الفكريّ والحضاريّ، كما أنّ الثّقافة تنمو مع النّمو الحضاريّ للأُمم، ولكنها قد تتراجع مع مرور الوقت؛ بسبب عدم الاهتمام الكافيّ بها ممّا يُؤدّي إلى غياب الهوية الثّقافيّة الخاصة بالعديد من الشّعوب. تعبّر الثّقافة عموماً عن الخصائص الحضاريّة والفكريّة التي تميّز بها أمة ما، فمن هنا يُلاحظ بأنّ جميع الثّقافات المُختلفة تلتقي مع بعضها البعض في كثيرٍ من الأمور الرئيسيّة، فإنّ الاختلاف بين الثّقافات قد يُؤدّي في النّهاية إلى تحفيز اللّقاء بينها، عن طريق تعزيز دور النّقاط الثّقافيّة المُشتركة بين الشّعوب التي تتفاعل مع بعضها، فيؤدّي هذا التّفاعل إلى ظهور تأثيراتٍ جُزئيّة أو كليّة في طبيعة هذه الثّقافات وفي خصائصها. إنّ الثّقافة نموّ معرفيّ تراكميّ على المدى الطّويل؛ بمعنى أنّها ليست علوماً أو معارف جاهزة يُمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها ويفهمها في زمنٍ قصير،

وإنما تتراكم الثقافة عبر مراحلٍ طويلةٍ من الزمن حتى تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ، فتُثقَّفُ المُجتمعُ تنتقلُ إلى أفرادِهِ الجُدد عبر التَّشْئِنةِ الاجتماعيَّةِ. حيثُ يكتسبُ الأطفالُ خلالَ مراحلِ نموِّهم العديدَ من المعلوماتِ الثقافيَّةِ. تعريفُ الثقافةِ تُستخدمُ العديدُ من التَّعريفاتِ العامَّةِ. فالحياتُ الاجتماعيَّةُ لا تتجخُّ في تطبيقِ أسسها من غيرِ وجودِ علاقاتٍ مُتبادلةٍ، وتواصلٍ مُتفاهمٍ تتميَّزُ بتعزيزِ المشاركةِ بين الأفرادِ والمُجتمعِ. تشملُ الثقافةُ مجموعةً من الوحداتِ التي تُساهمُ في ربطِ صفاتها معاً، وتكون هذه الصِّفاتُ معروفةً بين الناسِ، مثل: اللُّغةِ المُشتركةِ، أو استخدامِ بعضِ أنواعِ التَّعبيراتِ الخاصَّةِ بفئةٍ مُعيَّنة من الشُّعوبِ، أو المُحافظة على الخصائصِ الاجتماعيَّةِ العامَّةِ، مثل: المُصافحة كوسيلةٍ من وسائلِ تقديمِ التحيَّةِ للأخريين. الثقافةُ والحضارةُ الإنسانيَّةُ لقد ارتبطتْ الثقافةُ بالحضارةُ الإنسانيَّةُ ارتباطاً وثيقاً يظهرُ في العديدِ من جوانبِ الحياةِ، ومنها (10) ساهمتْ الثقافةُ في التأثيرِ على الفكرِ السياسيِّ العامِ في الدَّولِ، والذي انعكس أثره لاحقاً على الحضاراتِ الإنسانيَّةِ؛ إذ غيَّرتْ الثقافةُ في العديدِ من المجالاتِ الفكريةِ السياسيَّةِ. حافظتْ الثقافةُ على كافَّةِ أجزاءِ المُجتمعِ المُكوِّنِ للحضارةِ؛ إذ لم تقم بتغييرِ الهيكليةِ العامَّةِ للفكرِ الإنسانيِّ، بل ساهمت في تطويرها ونموها بطريقةٍ مُستمرةٍ. حرصتْ الثقافةُ على أن تكون شاملةً؛ بمعنى أنَّها لم تُغفلِ أيَّ جانبٍ من جوانبِ الحضارةِ الإنسانيَّةِ، بل أثَّرت فيها جميعاً بطرقٍ ووسائلٍ مُتعدِّدة. وهي " بهذا تستخدم للإشارة إلى المجموع الكلي لما قام الإنسان بابتكاره وإلى الحصيلة المتكاملة لمجموع الخبرات البشرية وتتضمن كل الأشياء المادية والروحية التي قام الإنسان بخلقها في سياق تطوره" (11) .

4- الحوار آلية التعايش لفهم التنوع الثقافي:

يُعرَّفُ الحوار لغة على أنه: "الرجوع عن الشيء إلى الشيء...و المحاوره المجاوبه ، والتحاور التجاوب، وهو بهذا مراجعة الكلام وتداوله وهو ما يكون عادة بين اثنين اواكثر" (12) على أنه نوع من أنواع الحديث الذي يجري بين اثنين أو أكثر، أما اصطلاحاً فيمكن القول على أنَّ الحوار هو نشاط ذهني، وشفهي، يعمل المتحاورون فيه على تقديم البراهين، والأدلة التي تؤيِّد ادعاءاتهم، ووجهات نظرهم التي يتبنونها،

وذلك من أجل الوقوف مع الآخرين على أرضية واحدة، حتى لو يتم التوصل إلى نتيجة في نهاية المحاوره. يكاد يجمع الباحثون في الحوار على أنه المراجعة في الكلام بين طرفين حول موضوع محدد(13). وثمة من يضيف بأنه يمكن أن يكون بين أكثر من طرفين(14) أو مع النفس ، وأن الهدوء يغلب عليه ، وأن موضوع المحاوره لا يشترط فيه أن يكون علمياً أو جاداً(15) ويشترط أن يكون الأمر منظماً، ويؤكد آخرون بأن الحوار مضمون وأسلوب . ومع وجود الاتفاق على أن المحاوره تكون بالكلام فهناك من يضيف بأن المحاوره قد تكون بأساليب أخرى كالمجادلة والمناظرة والمفاوضة...الخ. انطلاقاً من هذا التعريف يتبين أنّ الحوار أسلوب راقٍ للحديث حول ما يستجد على الإنسان من قضايا، وأسلوب الحوار قادرٌ على تحصيل الفوائد المختلفة وعلى رأسها صيانة اكتساب الفوائد العلمية، والمعرفية التي لا يمكن اكتسابها إلا من خلال مثل هذه الأساليب. إنّ انتشار ثقافة الحوار ليس بالأمر الهين، غير أنّ في انتشارها تحقيقاً لغايات عميقة، فثقافة الحوار تنشر معها أيضاً فكرة تقبل الآخر المخالف، والتعامل معه على المستوى الإنساني، ووضع الاختلافات جانباً، كما تتضمن أيضاً إصلاحاً للمجتمعات الفاسدة، ونموّاً، وارتقاءً على كافة الصعد، فالحوار يعني البعد عن الإقصاء، وبالتالي استغلال كافة القدرات من أجل التنمية، والإصلاح، وهو ما يعتبر منتهى آمال كافة الناس في شتى أصقاع الأرض. يعتبر نشر ثقافة الحوار من الأمور التي تحتاج إلى وقت، فنشر هكذا ثقافة لا يعتبر من الأمور الهينة، خاصة في المجتمعات التي انتشر فيها الجهل، وصار الذين لا يمتلكون الثقافة، والمعرفة هم من يتقدمون ويتكلمون فيما لا يعرفون، الأمر عنها. لعلّ التحدي الأكبر الذي يواجهه من يرغبون في نشر هذه الثقافة بين الناس، يكمن في الحوار او الاصغاء ،حتى ان" الجابري "عبر عن هذا بالحوار الاختلاف لان الحوار لا يقوم ولا يتأتى الا بوجود حد ادنى من "الاختلاف"(16) ولكن الاختلاف الذي يقصده مفكرنا انما هو ليس هو الخلاف بل تنوع الرؤى وتلاقيها عن طريق التعايش وتبني الاعتدال حتى لا تتسع دائرة الاختلاف ويتولد الخلاف. والحوار البناء وسيلة للتقارب بين الثقافات لخلق تنوع ثقافي ايجابي فهو سنة الحياة والكون والطبيعة

لان الانسان يعي التنوع بعقله ،متبعاً اسلوب الحوار الخلاق لذا فيوصف اداة العقلاء لانه يحقق تآزر ويبحث عن المساحة المشتركة لنشر الايديولوجيات لان نجاح التنوع الثقافي والفكري يحتاج الى بنية متحررة تكفل حرية الراي والتعبير في ظل انظمة ديموقراطية تحقق للجميع فرصاً متساوية في مجالات كافة ،وكلما كان التنوع الثقافي متاحاً ومحماً كلما كان اكثر تأثيراً في تجديد أنشطة المجتمع وافكاره وتوجهاته ولايكون هذا الا بخلق تفتح عام ببناءً وجعل مبدأ الاعتدال والتعايش ،"والحوار لا يقوم ولا يتأتى الا بوجود حد ادنى من الاختلاف حتى يخلق تواصل مبنياً على التفاهم"(17) .ان هدف الحوار في اخير هو توضيح مختلف الرؤى الحياتية وذلك بالتأثير والتأثر .

5-التنوع الثقافي بين الوافد والرافض:

ان المقصود من هذا العنوان هو تبيان مدى قبول أو عدم قبول ثقافة الاطراف المتبادلة فكرياً فكل مجتمع يدعي سمو ما يملك من رقي على مستوى ثقافته، اذ ان العولمة كظاهرة تفرض نفسها الذهنيات وينعكس ذلك على الايديولوجيات التي يتبناها كل طرف على اعتبار ان التعايش ومبدأ الاعتدال يسمحان بجعل التمازج بين الثقافات متنوعاً و متعدداً فالعولمة حتمية لا يمكن غض الطرف عنها لان التنوع الثقافي الذي شهد نطاقاً واسعاً على مستوى العالم العربي انجر عنه ذوبان او ما يسمى بانصهار الثقافة الاصل في الثقافة الوافدة التي تحاول ان تفرض نفسها على المجتمع الذي يعاني من هشاشة في بنيته وتركيبته، مما يؤدي بفرض ثقافة الآخر باسم التعايش مدعية انها محافظة على خصوصية المجتمع. ولكن الواقع يبين خلاف ذلك ان هناك اشكالية على مستوى كيفية التعامل مع الثقافات، بمجرد قبول الآخر بحجة التسامح والاعتدال حتى نلاحظ طغيان ثقافة على اخرى وكل واحدة تسعى لمحو وطمس الاخرى .على الرغم من ان الواقع يبين ان هناك تنوع خدم كل الفئات ولكن سرعان ما نلاحظ ان هناك اضمحلال للموروث او الثقافة الاصل لهذا فان العولمة تؤدي الى انعزال العناصر والممارسات الثقافية عن سياقاتها"(18)،وما يميز النوع البشري التعدد، سواء تعلق الامر بالدين او اللغة او نمط العيش وفي

ظل العولمة تظهر اشكالية الهويات لان الاقرار بالتعدد قد يلغي القول بالهوية كما يلغي التفاضل بين الثقافات مما ينتج نوع من الصراع ولكن عندما يتم تجاوز هذا الصراع، يحصل الارتقاء على مستوى التعايش ويسود اعتدال وتكافؤ بين الذهنيات في مختلف مستويات ويسود تسامحا هذا ما اقره" مالك بن نبي "عندما اقترح في تعريفه للثقافة في كتابه "شروط النهضة" الصادر سنة 1949، تعريفا مزدوجا فقال بان للثقافة تعريفين الاول تعريف تاريخي من اجل فهمها والثاني تعريف بيداغوجي من اجل تحقيقها، فالثقافة في المعنى الاول جو يتحرك فيه الانسان، الذي يحمل حضارة فيها يكون كل شئ مؤشرا على المجتمع السائر باتجاه مصير واحد، اما التعريف الثاني فيبرز فيه موضوع الثقافة ووسائلها هي نظرية للسلوك العام لدى شعب ما برمته من خلال تلاقي وتواصل وحوار أي من خلال ثقافة التعايش و الاعتدال. فتأثرت الثقافة في ظل العولمة تأثيرا ايجابيا وفي الآن ذاته سلبيًا. فالجانب الاول ساهم بصورة فعالة بالانفتاح وخلق إثراء تراكمي معرفي ومعلوماتي أدى إلى تطور الثقافة والعلوم المعرفية بكل مجالاتها، إذن ساهمت العولمة بشكل ملحوظ في إثراء الحركة الثقافية على مستوى العالم، أما الجانب الثاني أي السلبي أدى الى زعزعة الكيان الهوياتي للمجتمع المستهلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة التي ساهمت في تناقل المعلومات من كل بلدان العالم وصبها في مختلف البلدان والأديان والعادات والتقاليد، وأدى هذا بدوره الى عدم معرفة تعاطي هذا النوع من الثقافة الوافدة بحيث تم اكتساب ثقافات جديدة ومغايرة بشكل واضح عن الثقافة الأم . ونتج عن ذلك تشويه أصول المرجعيات الثقافية القديمة، وخط الثقافة بمعلومات غريبة وشاذة، وإدخال بعض الألفاظ والمعتقدات المستجدة عليها، والتي لا تتلاءم مع المجتمع المعولم. إذن أثرت العولمة بكل قوة على الثقافة ، وأدت إلى انفتحات عالمية كثيرة كانت سببا رئيسيا فيها على الرغم من اختلاف هذا التأثير سواء بالسلب أم بالإيجاب.

6-التعايش واثره على التنوع الثقافي:

ان المجتمع الانساني ينطوي على درجة كبيرة من التباين والوحدة في نفس الوقت فيتجلى التباين في عدد كبير من الاعراف والاجناس والاديان والثقافات التي تحمل قيما الى تنوع ثقافي ، اما الوحدة فتتجلى في ان كل اعضاء هذه التجمعات و يشتركون في كونهم يسعون للعيش في كرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ، ومصالحهم وعلى ذلك فان تجمع الناس هو اكثر مما يفرقهم ولكن احتكاك المجتمعات حالي اصبح يشوبه نوع من الارتباك والهشاشة، فلا بد من مراجعة الذات او بالأحرى المجتمعات لذاتها حتى تتصالح من جديد للمحافظة على التنوع الثقافي الراقي وذلك بالرجوع الى الدين ومبادئ التسامح واحترام الآخر المختلف و المحمل بثقافة اخرى مغايرة تصبو الى تنوع ولا يجد هذا الاخير نجاته وانتشاره الا بمبادئ روحية وهي التعايش و الاعتدال ونبذ التطرف والعنف من خلال حوار عقلائي فيه احترام حرية الآخرين في شكل حضاري لا نمطي يؤسس و يؤطر لوحدة شاملة وقوية تجمع اغلب الثقافات تحت مظلة التعايش والاعتراف وتشجيع الانفتاح الفكري(19) والمعرفي مع تنمية مهارات التفاهم وهذا يعمق التسامح والعدالة بين فئات المجتمع .لان الغلظة والشدة في العلاقات الاجتماعية هي الاصل لان فقدان ثقافة الفهم وغياب التعايش لا يحافظان على التنوع الثقافي بل يشكل خطرا عليه ويساهم في تشتت كيانات المجتمع. لهذا فان الدعوة للمحافظة على التنوع الثقافي معناها دعوة لإحلال سلام وتعايش واعتدال كمراتب عليا حتى تنجح الثقافة الخصبة والمتشعبة بروح ثقافات اخرى في الحفاظ على قوتها ، دون ان يكون هناك طمس لروحها الاصيلية وذوبان للوغس المؤسس لها، وعبر عن هذا "المهاتما غاندي" قائلا «إنني على استعداد لان افتح نوافذ بيتي لتدخله الرياح من كل اتجاه وكل جانب ولكن من دون أن تقوض هذه الرياح الجذور التي يقوم عليها بيتي"(20).

ان المقصود من هذا كله ان التنوع الثقافي الخلاق المبني على أسس التعايش والاعتدال والفضائل الاخرى الغير بعيدة في مفهومها عن هذه المبادئ كالتسامح ونبذ العنف والتطرف. إن التعايش الثقافي يتطلب تنوعا في الرؤى والأفكار، ودون هذا

التنوع الثقافي لا يمكن أن ترتقي المجتمعات أو تضمن صمام أمان لنهوضها في هذا الكون، فالإقرار بالتنوع الثقافي وكفالة حمايته صارا اليوم من مبادئ القانون الدولي، فلكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما، فإذا أراد المجتمع الدولي أن يحافظ على شرعية القانون الذي يحكم علاقات الأفراد والجماعات والحكومات، فإن ضرورة الحياة فوق هذه الأرض، وضرورة العيش في أمن وسلام، تفرضان تعايش الثقافات والحضارات والأديان وإقامة حوار جدي وهادف فيما بينها، ولا مستقبل للبشرية إذا سارت في اتجاه معاكس لذلك كله مبني على التفكك والعزلة والعنف.

فلسفة التعايش ومضامينها في الفلسفة الغربية:

فكرة التسامح كان ينظر إليها لوك على أنها الحل العقلاني الوحيد لمعالجة هذا الصراع القائم، فالتسامح يطرح لنا عدة تشكلات تتعلق في مضمونه وحدوده ومجالاته وتاريخه، وعلاقاته الدينية والسياسية والفلسفية والأخلاقية والحقوقية، ومشكلة حرية الاعتقاد والعقل وحرية التعبير، والإقرار بالاختلاف الموجود بين الديانات والتنوع، وضرورة التعايش والتعاون مع كل هذا التداخل الاجتماعي، وكل هذا من أجل هدف واحد هو التطور الحضاري.

" والتسامح عند لوك من القواعد الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المدني وهو بمثابة الفضيلة المدنية لهذا المجتمع، فالقاعدة العامة للتسامح في اتفاق الأفراد الذين يعيشوا ويتركوا غيرهم يعيشون" (21) فهو بهذا قدم فلسفة متكاملة تشمل جوانب سياسية وفلسفية أخلاقية تربوية. طور الفلاسفة كجون ديوي وغيره نظرية التربية والمنهاج التربوي الذي دعى إليه جون لوك وحقق صدق إيجابى في مجال الفلسفة وعلم النفس وحتى في علم الاجتماع.

أكسيل هونيت ومبدأ الاعتراف كأساس للتبادل الفكري:

إن المبدأ الأساسي الذي يكتنف ماهية التسامح والتعايش هو الاعتراف، فلا يمكن البتة تصور موقف تسامح والتعايش بين المجتمعات إلا من خلال الاعتراف المتبادل؛ فالطرفان يعترفان نفسيهما من جهة اعترافهما ببعضهما اعترافا متبادلا.

تتاول الفيلسوف الألماني أكسيل هونيث في مدلول الاعتراف، وربطه بالمنحى العلائقي السوسولوجي؛ لأن هذه العلاقات تنحو إلى إحقاق الاعتراف المتبادل ومن خلال أنموذج الاعتراف، يحصل التفاعل الاجتماعي، والتلاحق الثقافي ونجد بذلك من التناحر الاجتماعي وصور الازدراء والاحتقار. ويعدّ نموذج الحب صورة مثلى للتسامح بين الذوات؛ فيفضل التعاطف في الأسرة وعلاقات الصداقة والمحبة بين البشر والتراضي بينهم، تتحقق سبل الاعتراف والتسامح؛ فالحب، وفق منظور أكسيل هونيث، يسمح للفرد بتحقيق الأمن العاطفي(22) ويتمظهر الاعتراف كإتيقا كذلك من خلال التضامن الاجتماعي داخل نسيج العلاقات السوسولوجية والثقافية .

إتيقا الحوار كأساس لفلسفة التعايش عند ادغار موران :

اعتبر هذا المفكر أن التعايش ما هو الا إتيقا وفلسفة ايجابية بين المجتمعات. واعتبر أن المجتمع في ظل الذكاء الاعمى(23) على حد تعبيره، أدى بالإنسان المعاصر إلى منحى الضوضاء والأسلحة والنزاعات وأنماط تحريرية زائلة وانقلابية ومضايقات فظيعة وتخويف سياسي وقسوة بشرية تمزق القلب والحل هو انتهاج فلسفة التعايش التي تؤدي التنوع على اصعدة عديدة فكرية وثقافية وإن إحقاق التسامح لا بد أن ينجح نهجا سليما في آلياته وضوابطه، حتى يلقي ترحيبا من لدن الجماعة الإنسانية؛ فقبل الآخر والاعتراف به لعرقه أو دينه أو سياسته هو، في حقيقة الأمر، العيش معه تحت وفاق التسامح معه وعض الطرف عن مطباته وزلاته.

إن كثيرا من الناس، كون أن الناس يسكنون عالما يتواصل فيه الكل مع الكل عبر صيرورة معقدة عن النشاطات المتبادلة، وأن عقيدة العزلة والقطيعة ليست بالمحبذة إطلاقا؛ لان كل واحد يحمل راصد فكري وثقافي مطالب بالافصاح عنه(24). وعندما نعد إلى القطع والفصل؛ فإننا، في حقيقة الأمر، نستأصل الإنسان من الطبيعة. وبناء عليه، فلكي نحقق تسامحا كونيا لا بد في مقابل ذلك من الاستشراق على مستقبل الهوية البشرية جمعاء التي ترتبط باحترام الناس لمطلب إحقاق الهوية الكوكبية، يتحول معها الفرد الإنسان إلى الشخص الكوني (25)ومن ثمّ، يكون مصير التاريخ و مصير الكوكب متجانسان من خلال الاندماج .

الخاتمة

بهذا فان التعايش عنصر فعّال للحفاظ على التنوع الثقافي، هذا الاخير لا يتأتى الا بتوفير شروط اساسية تجعل منه لمبدأ ضروري بين الافراد، اضافة الى فلسفة الحوار وثقافة الفهم ، وتقبل الآخر بروح متعالية وكسر كل قيود التعصب بمختلف اشكاله. أما الصراع والتطاحن فهما يفضيان الى التشتت والدمار والطمس الحضاري ويؤديان الى الحقد وسلوك التناطوسي(عدوانية العنف) ويرجعان بالمجتمع الى الوراء اي الى حل المجتمعات القديمة المبنية على قانون الغاب. والمجتمع الراهن يعيش بالفعل تنوعا ثقافيا رهيبا في جميع نواحيه وهو يسعى لتنوع اكثر انفتاحا باسم التعايش والاعتدال ولكن يجب مراعاة معايير خاصة حتى لا تتصهر هوية مجتمع في آخر ولا تنفصم شخصيته ويصبح مجتمعا ضائعا لديه تنوعا ثقافيا ولا يملك منه شيء. لهذا فيجب ان يكون هناك وعي ثقافي في التعامل مع التنوع والتعدد اي ان يكون هناك ثقافة الثقافة ، بمعنى ثقافة التعامل مع التنوع الفكري والحضاري والأخذ بعين الاعتبار المحافظة على الثوابت التي تميّز مجتمعا عن غيره. ومن هنا كان شرط التعايش و الاحترام والاعتدال والوسطية مبادئ اصدت حولها منظمة "اليونسكو" بيانا سنة1982والرامي الى اهمية الدفاع عن الهوية الثقافية لكل شعب واحترام ثقافات العالم .وفق التعايش والاعتدال والترابط المشترك والائتلاف مع نبد الاقصاء والتهميش وكل ما هو سيطرة وتطرف لن يفضي الا الى صراع وتشتت لهذا فيجب التحلي بثقافة التعايش لضمان معاملة بالمثل اي ايجابية فيها اعتراف بالآخر بعيد عن النزاع والشقاق.

الهوامش والمراجع

- 01- عمارة محمد التعايش بين الاديان وقضايا اسلامية معاصرة التعددية والاختلاف العدد22، شتاء 2003، بيروت، ص22.
- 02-روجي غارودي، حوار الحضارات، دار عويدات للنشر، ط1، 1977، ص115.
- 03-المرجع نفسه ص.118

- 04- عبد العزيز بن عثمان النويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص77
- 05- سورة البقرة الآية 143
- 6 0- ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ج1، ص382
- 07- نادية شريف العمري، اضاء على الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، ص9 .
- 8 0 - علي حرب، مصائر المشروع الثقافي العربي، ص52.
- 09 - عبدالعزيز النويجري، الثقافة العربية والثقافات الاخرى ، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة، المغرب، ط2015، ص2، ص17.
- 10 -يوسف مخايل اسعد الثقافة بين الادب والفن نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، دت، ص5
- 11- أبو انور حمدي يورغن هابرماس، الاخلاق والتواصل، دار التنوير بيروت، دط، دت ص252
- 12- ابن المنظور لسان العرب دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت ط1997، ص1، ص217
- 13 - ابو زهرة تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص200
- 14-أبو أنور محمد الحوار الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط1987، ص2، ص154
- 15- ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن حزم التقريب لعلم المنطق،تح:احسان عباس، دار الحياة، ط2، دت، ص310
- 16- الجابري محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1994، ص3، ص149
- 17-أحمد زويل، حوار الحضارات، دار المعارف، ط2007، ص1، ص102.
- 18-Edrar Miran;introduction a une politique de l’homme ;édition du Seuil ;Paris ;1965 ;p.154.
- (19) Eric Mirlin DE LaBar la notion de trésor national entre identité,Paris ;2015,p26.

20-رامي عطا صديق، غاندي رسالة اللاعنف والتسامح، دار جداول ط1، 2014، ص204.

21-جون لوك، رسالة في التسامح، تر: ابوسنة، المجلس الاعلى للثقافة، ط1، 1977، ص19

22- Axel Honneth, Reconnaissance et reproduction sociale in la reconnaissance à l'preuve explorations socio-anthropologiques, paris, édition septentrion ,presses universitaires, 2008, p51

23-Edrar Moran ; la nature de la nature ; ;édition du Seuil ;Paris ;1977 ;p :89.

24-Edrar Moran ; ;introduction a une politique de l'homme ;ibid ;p102.